Al-Turath Al-Adabi

ISSN (P): 3005-7426, ISSN (E): 3005-7434

Vol: 02, Issue: 01 (Jan-June 2024)

https://alturath.numl.edu.pk/index.php/alturath

DOI: https://doi.org/10.52015/al-turathal-adabi.v2i01.25

Received: May 10, 2024 | Accepted: June 20, 2024 | Available Online: June 30, 2024

السخرية في شعر العاطفي عند بشار بن برد: دراسة وصفية

Sarcasm in the Emotional poetry of Bashar bin Burd: A Descriptive Study

محمد عبدالرحمان

باحث ماجستير الفلسفة

جامعة ميانوالي، باكستان

Muhammad Abdul Rehman

MPhil Scholar,

University of Mianwali, Pakistan

Abstract:

This article explores the irony in the emotional poetry of a prominent poet who occupies a distinguished position in Arabic literature, Bashar bin Burd, due to the unique value that his poetry has enjoyed throughout the ages. It was noted during the research that as per the biographers and literary historians, the concerned poet Bashar was a controversial figure due to the topics he described in his poetry and his position in society at the time, and his morals and behavior, which were considered a departure from law and custom. That is why his poetry was considered a prominent embodiment of sarcasm, which is often characterized by boldness and reprehensibleness without specific limits, which extended to include a large part of

Al-Turath Al-Adabi, Department of Arabic, NUML, Islamabad, **This work is** licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

his collection. It is also matter of fact that the researchers in the field of literary and psychological studies agree that literature represents a field in which the meanings and emotions of the soul are expressed, and that sarcasm is an essence of psychological emotions that is manifested in many forms, including poetry. Although some of the sarcasm in his poetry seems praiseworthy on the surface, most of it expresses the bad character that characterizes its author. This brief research includes the concept of Sarcasm and emotional poetry, motives of sarcasm in Bashar's poetry and Sarcasm in the emotional poetry of Bashar bin Burd.

Keywords: Abbasid Literature, Bashar bin Burd, emotional poetry, Sarcasm

الملخص :

الباحثون في مجال الدراسات الأدبية والنفسية يتفقون على أن الأدب يمثل ميدانًا يعبر فيه عن معاني وانفعالات النفس، وأن السخرية تعد جوهرًا للانفعالات النفسية يتجلى في أشكال عديدة، منها الشعر.

بناءً على ذلك، قررت دراسة السخرية في شعر العاطفي لدى شاعر بارز يحتل مكانة متميزة في الأدب العربي، وهو بشار بن برد، نظرًا للقيمة الفريدة التي يتمتع بها شعره عبر العصور. بشار كان شخصية مثيرة للجدل بسبب المواضيع التي نظمها ومكانته في المجتمع آنذاك، وأخلاقه وسلوكه الذي اعتبر خروجا عن الشرع والعرف، كما وصفه أصحاب السير ومؤرخو الأدب. يعتبر شعره تجسيداً بارزاً للسخرية، التي غالباً ما تتسم بالجرأة والمذمومية بلا حدود محددة، والتي امتدت لتشمل جزءًا كبيرًا من ديوانه.

على الرغم من أن بعض السخرية في شعره تبدو محمودة من حيث الظاهر، إلا أن معظمها يعبر عن سوء الخلق الذي يتميز به صاحبه. وأما المنهج لذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي، حيث أقوم بجمع نماذج من شعر بشار بن برد التي تدل على السخرية.

وهذا البحث الموجز يشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم السخرية وشعر العاطفي

المبحث الثاني: أسباب السخرية وآثارها عند بشار بن برد

المبحث الثالث: السخرية في شعر العاطفي عند بشار بن برد

خاتمة البحث: وفيها أهم نتائج البحث

الكلمات المفتاحية: بشار بن برد، الشعر العاطفي، السخرية، الأدب العباسي

المبحث الأول: مفهوم السخرية وشعر العاطفي

السخرية لغة :

إنّ الناظِرَ في مفهوم السخرية في المعجمات اللغوية، يجدها دالةً على الاحتقار والاستذلال، قال ابن فارسٍ: "السين والخاء والراء: اصلُ مُطرِدُ مستقيم يدلُّ على احتقار و استذلال، يقال: رجلُ سُخْرَةٌ، يُسَخَّرُ في العملِ، وسُخْرَةٌ ايضاً اذا كان يُسخر منه" (١) وسخِرتُ منه، وسخِرْتُ به، وضحِكْتُ منه، وضحِكتُ به، وهزِئتُ منه، وهزئتُ بهِ كُلُّ ذلك يقال، والاسمُ السخريَةُ والسُّخْري، والسِّخريّ، وقُرِءَ بها قوله ﷻ: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا(٢)﴾ (٣)، وفي الحديث: "أتسخرُ منّي وأنا الملك"(٤) أي: أتستهزئُ بي، وإطلاق ظاهره على الله لا يجوز، وإنما هو مجاز، بمعنى: أتضعني فيما لا أراهُ من حقّي؟! فكأنها صورة للسخرية، وفي قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُون(٥)﴾ قال الرُّماني: معناه يدعو بعضهم بعضاً إلى أنْ يسخرَ، وقوله ﷻ ﴿يَسْتَسْخِرُون﴾ أي: يسخرون ويستهزئون كما تقولُ: عَجَبَ وتعجّبَ واستعجبَ بمعنى واحدُ " (٦) وصيغة استفعل تدلُّ على طلب الشيء، وقولنا إستسْخَر : أي طلب من الآخرين أن يشاركوهُ في السخرية.

ونخلص من ذلك كُلّه إلى أن السُّخرية في معناها الأصيل والمادي الذي وضعت له تدلُّ على الإذلال والتحقير، ولولا صفة الذُّل والحقارة في الإنسان المستخدم المسُخَّر في

العمل؛ لما استطاع الآخرون تذليله واستخدامه في أعمالهم كالعبد الرقيق، الذي يستخدمهُ سيده من دون أية أجرة أو مقابل.

السخرية اصطلاحاً :

ولعل من المفيد أن نناقش هذا السياق بأن السخرية، قبل أن تعتبر مسعى أدبي أو نقدي، هي عاطفة نفسية تتجلى في شكل استجابة مشروطة في الجسد، أو الوجه، أو الكلام، يصعب تحديدها. تعريف موسع ومكلف، لأنها تجربة عاطفية متجددة وأساسية من جهة، إلى جانب ارتباطها بمصطلحات أدبية أخرى مثل الفكاهة والهجاء والنكتة والكوميديا(٧). وعلى كل حال، فقد حاول العلماء تحديد تعريف مفهوم السخرية الأدبية. وقد ذهب البعض إلى أنها طريقة: "طريقة للتعبير عن شيء ما بكلمات تغير المعنى المقصود إلى شيء آخر". إنه شكل من أشكال الفكاهة التي تنطوي على سلوك إجرامي أو مفاهيم خاطئة، والتي إذا تم تضليلها، ستكون سلاحًا فتاكًا في يد خبير.

ربما يمكننا أن نخرج من كل هذا إلى نقطة لم تعد فيها السخرية وسيلة للتعبير عن الأشياء، بل هي رد فعل عاطفي ونفسي لشيء يعبر عنه شخص آخر، فطريقة تعبير هذا الشخص عن الأشياء هي أيضًا عاطفية ونفسية، والجانب الأكثر أهمية في هذا هو طريقتهم في التعبير عن أنفسهم. ونتيجة لذلك، يمكننا تعريف السخرية بأنها أي كتابة أو تأليف يحتوي على نبرة غير محترمة، أو يتضمن شخصية بغيضة، أو سلوكا غير إنساني، أو فعل لا يتفق مع معايير السلوك المقبول أو المظهر الدنيء، غايته التصحيح والإصلاح، كما أنه يضحك عندما يكون الأمر جدياً.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن بعض العلماء قد صنفوا "المضحكات" في الأدب على أنها إحدى مجموعتين من النكتة: "أحدهما ليس له غرض أو هدف محدد، إنما المقصود به الاستمتاع بذاته، وهذا ما يسمى السخرية"(٨)، والآخر له غرض مقصود محدد أم لا. "أما بالنسبة للقرآن، فإن الكلمة تستخدم بطريقة معينة، بينما في القواميس تعريف الكلمة هو

الضحك والضحك كلاهما متضمنان[٩]. ولا يهم ما إذا كان له غرض أم لا، أما القرآن. والاستخدام المتعمد، كما رأينا، جاء بمعنى السخرية والاستهزاء من الكافرين للمؤمنين ، وكان هدفهم مجرد إضحاكنا. [١٠]

وبناء على ما سبق فإن الفكاهة والسخرية كلاهما يؤديان إلى الضحك على الموضوع المذموم، لكن السخرية تفتقر إلى غرض جدي، وهذا واضح في الأدب العربي القديم، مثل أعمال الجاحظ والمقامات، فقد تضمنت هذه النصوص الفكاهة النقد، أو النقد الساخر، وكان غرضه النقد أولاً، والاستمتاع بالضحك ثانياً، بما في ذلك تصوير الشخص بطريقة فكاهية، إما عن طريق استخدام التشويه لخلق تمثيل أكثر دقة للكائن قيد الدراسة، أو عن طريق جعل موضوع أكثر سخافة، كما وجدنا في أعمال أبي دلامة، وبشار بن برد، وحماد عجرد. [١١] وكان الهدف الاستمتاع بالضحك والفكاهة ونشر المرح والفكاهة في اللقاءات الاجتماعية. ونتيجة لذلك يمكننا تصنيف السخرية إلى مجموعتين: [١٢]

أولهما: يتمتعون بروح الدعابة الخفيفة، ولا يعتمدون على العنف، ولا يصلون إلى حد الألم. وهي مليئة بالرغبة في التبسم والضحك وتقدير من قالها، وهي أقل ضرراً من النوع الثاني.

ثانيهما: أنها من النوع المرير اللاذع الذي يجعلنا نضحك بمرارة، ونندم، وربما نبكي، وكل ذلك من أعراض المصيبة وقسوة الحدث.

مفهوم الشعر العاطفي

الشعر العاطفي يُعرف بالعربية بالشعر الليّن أو الشعر الشاعري، وهو الشعر الذي يعبر عن المشاعر الشخصية والعواطف الداخلية للشاعر. يتميز الشعر العاطفي بالاهتمام بالمشاعر والأحاسيس بدرجة أكبر من الوصف الجمالي أو التعبير العقلاني. وهو نوع من الشعر يعبر عن المشاعر الشخصية والعواطف الداخلية للشاعر بشكل عميق ومؤثّر.

أهم خصائص الشعر العاطفي

تتميز بأهم خصائصه ما يلي:

١. **العمق العاطفي**: يعبر الشاعر عن مشاعره الشخصية بشكل صادق ومؤثر، مما يمكّنه من التواصل مع القارئ بشكل عاطفي.
٢. **الغموض والرمزية**: يستخدم الشاعر غالبًا لغة مجازية ورمزية للتعبير عن مشاعره، مما يضيف طبقات إضافية من العمق والتعقيد للقصيدة.
٣. **الاستخدام الفعال للصور البصرية**: يستخدم الشاعر الصور الشعرية بشكل مكثف لتعزيز التأثير العاطفي للقصيدة وإيصال المشاعر بطريقة ملموسة للقارئ.
٤. **الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة**: يعتني الشاعر بتفاصيل صغيرة تساهم في توجيه التجربة العاطفية للقارئ وتعميق فهمه للمشاعر التي يعبر عنها.
٥. **الشخصية الفردية والتعبير الشخصي**: يعبر الشاعر في الشعر العاطفي عن تجاربه ومشاعره الشخصية بشكل يجعل القارئ يتعاطف معه أو يتأمل في عواطفه.

المبحث الثاني: أسباب السخرية وآثارها عند بشار بن برد

وبعد التعرف على تعريف السخرية ومصطلحاتها وأسبابها بشكل عام، من المهم بيان أسباب شيوع السخرية في شعر بشار بن برد.

من المعروف أن السخرية، في أبسط معانيها، تمثل غضب الساخر أو الفرد المستاء من وضع حياته وحاجته للعيش في هذا الملف المميت. لأن عدم وجود شيء ما هو السبب الرئيسي لذلك، وحيثما نجد متشككا يحتقر الحياة والإنسانية، فإن وراء ذلك معاناة ناجمة عن عدم وجود شيء ما. وهذا ينطبق تماماً على حياة الشاعر (بشار بن برد) وينسب إليه صفة فريدة حددت حياته وشملتها. ولعل ازدراء بشار العميق لعصره وأهل ذلك العصر يظهر في قوله: "لقد عِشتُ في زمان، وأدركتُ أقواماً، لو احتفلت الدنيا ما تجملت إلا بهم، وإني لفي زمانٍ ما أرى عاقلاً حصيفاً، ولا فاتكاً طريفاً، ولا ناسكاً عفيفاً، ولا جواداً شريفاً ولا خادماً نظيفاً، ولا جليساً ظريفاً، ولا مَنْ يساوي على الخبزة رغيفاً"(١٣). وبحسب وجهة نظره فإن العصر الذي عاش فيه كان خاليا من أي بذرة خير تذكر لعدم وجود أفراد مهمين

فيه، علما أن عصره كان يضم عددا كبيرا من أفراد الفضيلة والعلم والزهد الذين كتبوا الآلاف صفحات من الكتب عن أنفسهم وحياتهم الشخصية، بالإضافة إلى الزمن الذي عاشوه.

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هناك أسباباً لهذا المنظور المظلم لتلك الفترة وسكانها، ومن يدرس القصص في كتب الأدب والسير سيفهم أساس هذا العداء والازدراء. هناك عوامل متعددة ساهمت في أسلوب بشار الأدبي. لقد كان معلمًا، وكان يشعر بعمق أنه خادم، وابن خادم، وأنه من عائلة فقيرة ومتخلفة. وكانت هناك درجة من العداء في المجتمع أدت إلى ميله القوي نحو العنف. ورث من تراثه الفارسي شخصية حادة ورغبة شديدة في الاستمتاع بالأشياء الحسية، وتفاقم ذلك بسبب عماه. إنه مكرس لأسلافه الأصليين، وخلفه افتقاره إلى الرؤية (العمى)، إلى جانب النظرة السلبية للمجتمع وأفراده، والاستياء من قلة الامتيازات التي عاشها بينما كان الآخرون يستمتعون بالكماليات التي يفتقر إليها[١٤].

قد يكون عمى بشار أمراً طبيعيًا وشائعاً، كم رأيت من المكفوفين يعيشون حياة طبيعية، وأحياناً أكثر سعادة منهم؟ "لأنه من بين المكفوفين، هناك بعض الناس الذين لا يشوه عمهم مظهرهم، عيونهم مغمضة فقط، وكأنه أغمضهم للنوم، أو مظهرهم مفتوح وعادي، فتظن أنهم يبصرون...لكن بشار بسبب ومظهره المؤلم، لا ينتمي إلى أي من هاتين الفئتين، بل كما يقول القدماء، إن مقلتيه مغطيتان باللحم الأحمر وهو أعمى من أقبح الأشكال وأبشعها، ولم يقتصر كلامه على هذا عمى رهيب، لكن وجهه كان أيضًا مقززًا من آثار الجدري، وكأن ذلك لم يكن كافيًا، كان جسده ضخمًا وطويلًا"[١٥]، ولا شك أن هذا كله صحيح. هذه الصفات (الفطرية) إذا اجتمعت في إنسان ضعيف الإيمان أو بعيد عن الإيمان، يمكن أن تنتج فيه مرضاً نفسياً، يكون له الأثر العميق في شخصية الإنسان المتحلى بهذه الصفات، وفي نظرته للحياة والآخرين. ولذلك فإن شعره هو "مرآة نفسية داخلية تعكس وجهه القبيح ومصيره المقيت، فيشعر بالملل الشديد والانزعاج سواء من نفسه أو من الآخرين"[١٦] الذين يعانون من هذا

الجسد المعاقين –مثل بشار–، وكثيراً ما يلجأون إلى ما يسمى بمبدأ التعويض من أجل إخفاء مشاعر الدونية واكتساب شعور بالتفوق – حتى لو كان وهمياً. (١٧)

ومع ذلك، فإن بشار استطاع أن يتغلب على العقبات العمياء في الحياة إلى حد كبير من خلال الفكاهة والسخرية المنتشرة في شعره، وليس هذا فحسب، بل إن من يقرأ شعره سيجد أنه شخصية معاكسة تماماً الخلق، وحسن المظهر، وحسن العمل، وكل شيء تحته.(١٨)

السخرية في شعر العاطفي عند بشار بن برد:

ولعل من يتأمل تاريخ الأدب العربي يجد أنه لا يوجد شاعر لديه نفس التناقضات الشخصية التي يتمتع بها بشار، لأنه كان "شقياً وجاداً، شقياً ورزيناً طوال حياته، فصوّرَ في شعره جانبين من جوانب الحياة، الجانب المرح، والجانب الجدي."(١٩) فيتخيل أنه يقرأ شاعراً حكيماً يستمد منه الحكمة، أو شاعراً عاشقاً مرهفاً، أنهكه الحب، وألقى قلبه إليه وكاد أن يدمر هو. وأثنى عليه القدماء لبراعته في الشعر والخطاب، ووصفه الأصمعي بأنه "أتقن فن الشعر، وأكثر إنتاجا وتهذيبا".(٢٠)

ولعل معظم التجارب العاطفية في مقدماته الشعرية هي من نسج خياله. وذلك لأن صورته القبيحة ومظهره القبيح –كما وصفه القدماء– يجعل من يفكر في هذه التجارب يشك في صحتها، كما أن الإنسان في مثل هذه الظروف سيشعل فيه نوعاً من الصراع النفسي الذي ينشأ من هذا الصراع. الحرمان والقمع والمكانة الطبقية أدخلته في "حالة من عدم التوازن النفسي والتوتر الضروري، مما دفعه للبحث عن... طريقة أخرى لاستعادة توازنه وتقليل التوتر وإشباع احتياجاته" (٢١)، وعندما يطلق الإنسان مثل هذا الوصف فهو بلا شك يريد كسب احترام الآخرين وإثبات تفوقه. لقد تحدث القدماء عن الحب السامي، وقلما يجتمع مع الفجور، وعندما يجتمع الحب مع الفجور عندما يمتزج معاً، ضعفت قوتها وتمزق عريها (٢٢)، لتظهر صورتها باهتة ومتظاهرة، إضافة إلى الذل والكاريكاتير الذي عرف به بشار. يجعل من

غير المرجح أن نعتقد أن ما يقوله في هذا السياق هو اتهام[٢٣] لأن بشار هو "من أحسّ الناس بالانوثة الجسدية، وأرغبهم في الاتصال بها، والاستراحة اليها، والاستماع الى حديثها"[٢٤]، ويرى بعض الدارسين المعاصرين أن بشار لم يذكر المرأة في قصائده فحسب، بل اعتبر المرأة تحديا للمجتمع يحارب المجتمع، ولذلك كانت هذه محاولته رفض الأعراف والتحديات الاجتماعية واستمرار فرض وجوده. ويبدأ أيضًا بغزله المتهور، "مخادعًا في مقدمته بحيث يظهر الحب والمودة والألم أحيانًا، ثم في أحيان أخرى يتذمر ويشعر بالألم، متظاهرًا بالانفعال حتى يتخيله الطالب والقارئ شخصًا". العذراء القديمة"[٢٥].

ومن يتصفح ديوان بشار يجد أنه ذكر أسماء العديد من النساء اللواتي تعلق بهن قلبه، لكن بدلا من أن يبادلنه حبه وشغفه، أدارت له ظهورهن وتجنبت مقابلته. ومن تلك النساء: (عبدة) وهو الاسم الأكثر ذكراً، وكذلك (حبي) و(سعدى) وكذلك (صفرا) و(سلمى) و(حمدة) وغيرها. واللافت في كل هذا أنه كثيرا ما كان يشتكي من خجلهم، وكما نعلم جميعا فإن جزءا كبيرا من الشعر الغنائي هو ذاتي بصراحة، أي أن الشاعر يعبر بصراحة عن مشاعره الداخلية، وآماله، ورغباته، وأحلامه، وأحبابه، إنه يصور المواقف والمشاعر التي يتقاسمها الناس، لكن لا يوجد في شخصيته ما يضمن امتزاج هذه المشاعر حقًا في شخص واحد.[٢٦]

عندما ننظر إلى هذه الأحاسيس، نجد أنها تعبر في الغالب عن تجربة حب فاشلة، حيث يكون الشاعر، كبشار، قد وضع مشاعر الحب من جانب واحد. يدفعه ذلك إلى السخرية من قلبه الذي انغمس في حب وهمي ومودة لم تكن حقيقية. ومن بين الأمثلة على ذلك، قوله: [٢٧]

وَلَقَدْ قُلْت لقَلبي خَالياً حينَ لَمْ يَلْقَ هَوَاهَا وَدَأَبْ
أَيُّها النّاصِبُ في تطْلاِبِها بَعْدَ هَذَا ما تُبالي مانصَبْ
لايُريدُ الرُّشدَ إلاّ ناصِحٌ وَيَلي قَتْلَكَ إلاّ مَنْ تَعِبْ

وما تدل عليه هذه السطور هو أن الشاعر حول قلبه إلى متمرد يعصي أقرانه من خلال التشخيص، واستخدم في كلامه أسلوب الاستدعاء (أيّها الناصب) والاستفهام المنفي

(ما تبالي ما نَصَبْ) ولا يهمك ما هو النصب الحالة، بالإضافة إلى الأفعال مثل (يلي قتلك) و (كِلْ) و (يقصيك) و (اقترب)، وهي كلها أدوات في التصوير، فهو أسلوب مجازي. إن تجربة الشاعر الممتزجة بالعواطف ذات الاحساسات الجادة؛ فهذه الصورة تبدو خفيةً عندما نغوص في المعنى الداخلي للنص، وتكون بذلك شيئًا آخر عن ما تظهر به في معناها الظاهري.(٢٨)

إنها الغاية في السخرية إن تُحبّ وتتعلق بمَن لايأبه بك ويبتعد عنك بل إنه يسعى إلى قتلك، وهي قمة المفارقة، ان تحب انسانا ويسعى إلى إهلاكك؟!

وفي موضع آخر كان الشاعر أكثر وضوحًا عندما عبر عن قلبه بـ (صاحب لي)، حيث ذكر اسم (سعاد) وإعراضها عنه، وتوسله إليها بأن تجود عليه من وصلها، حتى وصل به الأمر إلى التهكم من نفسه التي ضعفت أمام الحبيبة (سعاد). فقال:

ولَقدْ عَجِبْتُ من الضَّعيفَةِ إذْ بَدتْ تَثْني أسامة فانْثَنَى وانْقادا

أسَدٌ تَصيَّدهُ غَزالٌ شادِنٌ ما اصطادَ قبلكِ شادنٌ آسَادا(٢٩)

ويتحقق غرض السخرية من خلال جمل الاستفهام، مع حذف المادة (أسدُ تصيده غزالٌ شادنٌ)، وهنا يتوجه إلى صاحبه (المُهتَّر)، أي الشخص الذي يحب (سعاد)، وهو قلبه.(٣٠)

ولقد أقولُ لِصاحبٍ لي مُهْتَرٍ قد ماتَ من كلفٍ بها أو كادَا

حتام تُحشِّمُني الصِّبى وتشفُّني بَل ليتَ غَيرَك يا فُؤادُ فُؤادا

مَازِلْتَ تذكُرُ وَجهَهَا وَحَديثَها مُنذُ انْصَرفْتَ وَمَا ذَكَرْتَ مَعَادا

سُعدى مُباعِدَةٌ وأنتَ مُخاطِرٌ أفقد رضِيتَ مع الخِطارِ بِعَادا

هذه صورة مليئة بالأسئلة المتواصلة (حتّام، مازلت، أفقَدْ)، ومن معاني هذا السؤال في هذا السياق الإنكار والسخرية ولعل القيمة الفنية لاستخدام هذا السؤال تكمن في قدرة

الأسلوب. ينقل الحالة النفسية والضيق العاطفي الذي يأكل نفسية الشاعر، فالإنكار لا يحدث إلا بعد فعل المحرم.

وفي موضع آخر من قصيدته نراه يتوصل بعد تجربته في حبها إلى أنه فشل في اختبار الحب، فيقول:

لَمْ تَكُوني لتَصْلُحي لِوِدادٍ لكَرِيمٍ كحُلَّةِ العَنكبُوتِ

قَد شَبِعْنا من وُدِّكِ المرّ طَعماً وَرَوِينا إنْ كنتِ مَّنا رَوِيتِ(٣١)

لقد كانت تجربة فاشلة واستخدم أساليب مختلفة لتصويرها، وفي وقت ما استخدم الصور التشبيهية، وقارن علاقته مع من يحب بـ (حُلّة العنكبوت)، وهي صورة مقتبسة. ويذكر القرآن الكريم هذه الصورة عند المقارنة بين العلاقة بين التابعين والمتبعين، بدلا من الله تعالى، يقول الله تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٢)﴾ ولذلك أصبحت العلاقة التي كانت بينه وبينها مدعاة للسخرية –حتى منه– فاستغلها. وتجسد الصورة المجازية الإساءة التي تلقاها منها، فهو يستعير المرارة مجازيًا للتعبير عن مشاعرها، (قد شبعنا من ودِّك المُرّ)، ثم عاد وهو يضحك من عتابه ورغبته فيها، في حيرة.

ما عتابي اصمَّ لايَسْمَعُ الصَوْ تَ وشوقي الى البغيض المقيتِ(٣٣)

كما أنها تفضح الحبيبة، لأنها صماء لا تسمع نداءه، كما تفضح الكاره الذي يكرهه، وهذه هي القوة الإبداعية للشاعر، لأن القراء ينخدعون عند قراءة مثل هذه القصائد لبشار. هذا فتى متيم يستهلكه الحب، رغم أن شخصيته تبدو مكرسة له من خلال الشعر. وذلك لأن لغته الشعرية متمكنة جداً، فهو قادر على أن ينقل لنا صورة شعرية غنائية، تحتوي على ألم فراق من يحب. هذه الصورة الشعرية لها تجربة عاطفية صادقة، وكل ذلك من خلال تحقيقه لغة شعرية. يستخدم الشاعر موهبته.

وظل يتوسل إليها راجيا أن ترحمه وترحمه[٣٤]، لكنه سرعان ما ييأس منها ويضحك من الوعود الكاذبة قائلا: [٣٥]

لاخيرَ في عِدَةٍ ليست بِمُنْجَزَةٍ فأنجزِي الوعْدَ إنّ الجودَ محمودُ
ليس المحِبُّ ككمُّوُنٍ بمزْرَعِةٍ إن فاتَهُ الماء أغْنَتْهُ المواعيدُ
كأنّه يَتَّقي الحيَّاتِ فاغِرَةً لابَلْ كأنِّي عَنِ الْمَعروفِ مَجْدودُ

ورغم أنها قدمت له وعوداً كثيرة، إلا أنها لم تف بوعود واحدة، ولهذا لجأ إلى (السخرية) من هذه الصفة الذميمة، والمفارقة عندما نفى أن التشابه بين حبيبته ونبات الكمون الصحراوي وصل إلى ذروته. لأن العربي القديم كان يزعم أنه إذا تأخر المطر، إذا وعد بسقوط المطر قريبا، ينجو الكمون[٣٦].

ويستخدم الشاعر تشبيهات في أكثر من موضع، منها (ليس المحبُّ ككمونٍ بمزرعةٍ)، و(كأنه يتقي الحيات فاغرةً)، وغيرها لوصف حالته النفسية المتعثرة التي تحتوي على نوع من التعاطف. لمن يحب، لأن الصورة التشبيهية تقرب المسافة المجردة، وتجعلها تظهر في صورة محسوسة، وتجعل صورتها مرئية للأبصار، وفي نفس المستقبل سيكون تأثيرها أكثر خطورة[٣٧].

وبلغ كرب الشاعر ذروته حين تحدث في حديثه عن محبوبته آزادي :

ألا ياصَنَمَ الأَزْدِ الَّـ ـذي يدعونَهُ ربَّا
سُقِيتِ العَذبَ من وِدِّي وإن لمْ تسْقِني عَذْبَا
أراني بكَ مَكْروباً ولاتكشِفُ لِي كَرْباً
إلا تَرْزُقِني مِنْكَ سُلُوَّ القلْبِ أَو قُرْبا
فإنَّ الشوقَ يدعُونِي وإنّـي مَيِّتٌ حُبّا[٣٨]

وفي سياق هذا النداء، والدعاء اللاحق، هناك صورة مجازية، فإن (صنم الأزد) يستعير اسم ووصف المرأة الأيزيدية التي يشير إليها في القصيدة، في حين أن "صنم الأزد الجاهلي "أزد" سمي (باجَر) بفتح الجيم، لم يرده بشار، بل أراد أن تكون محبوبته من الأزد. وكانت أجمل نسائهم صورة، وقد ظل أهلها ينظرون إليها كأنهم يعبدونها[٣٩]، وهو ما دفعه إلى استعارة (الصنم) للإشارة إليها، وهو ما ذكره محقق الديوان أيضًا، وربما يكون العضو المذكور أيضاً هو الذي دفع بشار إلى إطلاق هذا الاسم على محبوبته آزادي.

فهذا أسلوب من أساليب السخرية والسخرية، قال في هذه القصيدة الأصفهاني: "قال يونس بن حبيب النحوي: "العجب من أزيد أن هذا العبد كان قريبا من نسائهم، وكان يستهزئ برجالهم –يعني بشار– "وقال:

ألا ياصَنَمَ الأَزْدِ الَّـ ـذي يدعونهُ ربَّا

وكان بشار يصف نوع علاقته، وكيفية لقائه فقال:

سبي وحَسْبُ التي كَلِفتُ بها مني ومنها الحديثُ والنَّظَرُ
أو قُبلةٌ من خلال ذاكَ وَلا بأس إذا لَم تُحَلَّلِ الأزُرُ
أو لَمْسُ ماتحتَ مِرْطِها بِيَدِي والبابُ قد حال دُونَه السُّتُرُ
والسَّاقُ برَّاقَةٌ خَلاخِلُها والصوتُ عالٍ فقد علا البُهُرُ
واسْتَرخَتِ الكَفُّ للغزالِ وقَالَ ـتْ أُلْهُ عَنِّي والدَّمعُ مُنحَدِرُ [٤٠]

ومن يتأمل هذه الآيات يلاحظ إزدراءه لما يحرمه الدين وترفضه الأعراف الاجتماعية، حتى أنه يذهب إلى حد وصف ما ادعى أنه فعله بالفتاة بالتفصيل، والسخرية من توسلاتها إليه أيضًا. وصفها لفجوره. :

وغابت اليومَ عَنك حاضنتي فاللهُ لِي اليَوْمَ مِنْكَ مُنتَصِرُ

ياربِّ خُذْ لي فَقَدْ ترى ضُعُفِي مِنْ فاسِقِ الكفِّ مالَهُ شُكُرُ

ويحقق الحديث بينه وبينها غرضه عندما تظهر الفتاة خوفها وارتباكها بشأن ما ستواجهه عائلتها وماذا ستقول لأمها إذا ظهر للنور، كما يقول في ما ورد في السخرية والسخرية في البيان.

كيفَ بأُمِّي إذا رَأَتْ شَفَتي وكيفَ إن شَاعَ مِنْكَ ذَا الخَبَرُ
أَمْ كيفَ لا كَيْفَ لِي بحاضنتي ياحُبُّ لَوْ كان يَنْفَعُ الحَذَرُ
قُلتُ لَهَا عِنْدَ ذاك ياسَكَني لابَأْسَ إنّي مُجَرَّبٌ حَذِرُ(٤١)

وكان الحوار هو الذي أدى إلى تصعيد الحادثة، حيث أظهر تكرار أداة الاستفهام (كيف) الحالة النفسية المضطربة التي كانت فيها الفتاة، وقلقها الشديد من عواقب ذلك اللقاء، حيث إن أحد أسباب تكرار السؤال أداة، وتستخدم الكلمة والعبارة لإبراز معناها وتأكيد أثرها. (٤٢).

وفي صورة أخرى ساخرة نراه يسخر من رغبة (عبدة) التي منَّته إياها:

وأنتِ بما قربتني واصطفيتني خَلاَءٌ وقد باعَدْتِنِي بُعْدَ مُذْنِبِ
كقائلةٍ : إنّ الحمارَ — فَنَحِّه عنِ القَتِّ — أَهْلُ السِّمْسِمِ المتَهَذِّبِ
وما الحبُّ إلا صَبْوَةٌ ثم دَنْوةٌ إذا لم يَكُنْ كانَ الهوى رَوْغَ ثَعْلَبِ(٤٣)

هذه صورة متناقضة للقرب والاختيار، تتوافق مع حالة البعد، والمفارقة: القرب من خلال الأمل والوعد الكاذب، والمسافة من خلال العمل. نراه يرسم صورتين ساخرتين، الأولى صورة حمار يمنع الحشيش ليقدم له بذور السمسم، والثانية للثعلب الخبيث لوغان، وهو الذي صنع صورة الوعد الكاذب. ثم لم يتم الوفاء به، وهو حال جميع رفيقاته. ومنهن (حُبابة) التي خاطبها بقوله:

ولا تَكُوني كَمَنْ يقُولُ ولا يُو ... في كذاك الملاّقةُ الخَلاّبةْ

كَيْفَ صَبْري عُوفيتَ مِمَّا أُلاقِي ... بَيْنَ نارِ الهَوَى وغَمِّ الصَّبابةْ

ليتَ شِعْري تَبْكِينَ إن مُتُّ مِنْ حُبِّـ ... ـكِ او تَضْحَكِينَ يا خَشّابةْ(٤٤)

وكذلك الحال بالنسبة لرفيقته (كحال الملاّقة الخلاّبة)، بلا عهد ولا وفاء، ولهذا غالباً ما يكون في قصائده الغزلية، أسلوب يسخر من علاقاتهما – ذكرت بعضها – ربما تكون صورة وهمية. من خيال الشاعر .

ومن الجدير بالذكر أن أسلوبه في السخرية من العلاقات العاطفية الفاشلة هو أعظم هجاءاته الاجتماعية مقارنة بأنواع السخرية الاجتماعية الأخرى، وقد يكون السبب في ذلك هو حالة الكراهية والازدراء للمرأة.

خاتمة البحث

وفي نهاية البحث توصلت إلى نتائج منها:

- يتميز شعر بشار بن برد بالسخرية والعمق العاطفي، مما يعكس عدم رضاه عن الحياة والصراعات الشخصية.
- أسلوبه الأدبي الساخر ينبع من عماه وعدائه المجتمعي وصراعاته النفسية الداخلية.
- من خلال الفكاهة والسخرية، يخوض تجارب الحب الفاشلة ومشاعر الدونية في شعره.
- استخدام بشار للسخرية والصور العاطفية ينقل آلام الحب غير المتبادل والانفصال عن امرأة جميلة يشير إليها بالصنم.

الحواشي والمراجع

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن احمد بن فارس، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص: ٤٨٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٢

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج: ٢، ص: ٦٧٩-٦٨٠.

(٤) سنن الترمذي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ٢٠٠٢م، ح: ٧٣٥

(٥) سورة الصافات، الأية: ١٤.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، دار احياء التراث العربي، ص: ١١٣-١١٤.

(٧) ينظر : السخرية في شعر البردوني، عبد الرحمن محمد حسين الجبوري، ص: ٦.

(٨) السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. نعمان محمد، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ص: ١٣.

(٩) ينظر : لسان العرب ص: ١١٣

(١٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص: ٤٢٦-٤٢٧.

(١١) ينظر: السخرية في الأدب العربي، ص: ١٤.

(١٢) ينظر: قراءة في بعض ملامح السخرية في شعر البردوني، حسن عبد الوارث (مجلة الثقافة اليمنية) نقلا عن السخرية في شعر البردوني، ص: ١٠.

(١٣) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني، مطبعة الانشاء، دمشق، ١٩٦٤م، ج: ٢، ص: ٣٢٢.

(١٤) الفن ومذاهبه في الشعر، شوقي ضيف، ط: ٧، دار المعارف مصر، ١٩٦٩م، ص: ١٥١.

(١٥) شخصية بشار، ص: ٣١.

(١٦) نفسية بشار وتأثيرها في هجائه، ايليا الحاوي (مجلة الأديب) ص: ٢.

(١٧) ينظر: أسس الصحة النفسية، الدكتور عبد العزيز القوصي، ط: ٧، القاهرة، ١٩٨١م، ص: ١٣٩.

(١٨) ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ص: ١٠٥.

(١٩) الصورة في شعر بشار، عبد الفتاح، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣، ص: ٢٤.

(٢٠) الأغاني،ج: ٣، ص: ١٤٠.

(٢١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، عبد الحميد ناجي، ص:١٧

(٢٢) ينظر: الظرف والظرفاء، ابي الطيب محمد بن اسحاق، عالم الكتب، بيروت، ١٣٢٤هـ، ص: ٦٢.

(٢٣) ينظر: بشار بن برد، طه الحاجري، ص: ٢٦.

(٢٤) مراجعات في الأدب والفنون ، عباس محمود العقاد، ص: ١٢٥.

(٢٥) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، يوسف حسين بكار ، ص: ٧٩.

(٢٦) ينظر: عناصر القصة في الشعر العباسي، منتصر عبد القادر، ص: ١٤-١٥.

(٢٧) ديوان بشار،ج: ١، ص: ٣٦٤.

(٢٨) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، عبد القادر فيدوح، ص: ٣٠٣.

(٢٩) ديوان بشار،ج: ٢، ص: ١٢٢.

(٣٠) المصدر نفسه

(٣١) المصدر نفسه

(٣٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٣٣) ديوان بشار، ٢/، ص:٤

(٣٤) ينظر: الأبيات التالية في الديوان، ج: ٢، ص: ١٨٧-١٨٨.

(٣٥) ديوان بشار، ج: ٢، ص: ١٨٩.

(٣٦) المصدر نفسه، ج: ١، ص: ١٨٧.

(٣٧) ينظر: أسرار البلاغة، ص: ١٢٤-١٢٥

(٣٨) ديوان بشار، ج: ١، ص: ٢٢٩

(٣٩) المصدر نفسه

(٤٠) المصدر نفسه، ج: ٣، ص: ١٥٤.

(٤١) ديوان بشار، ج: ٣، ص: ١٥٥.

(٤٢) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ، ص: ٢٧٦.

(٤٣) الديوان، ج: ١، ص: ١٩٧-١٩٨.

(٤٤) الديوان، ج: ١، ص: ٢١٩.

References in Roman Script

1. Muajam Maqayis Al-Lughah, 'Abu Al-Hasan Ahmad bin Faris, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1422h, P:487
2. Sura Al-Zukhruf, Al-Aya: 32
3. Al-Sihah Taj Al-Lughah Wa-Sihah Al-Arabia, Al-Jawhari, Vol:2, P:679-680
4. Sunan Al-Tirmidhi, Dar Ibn Hazma, Beirut Lubnan, 2002 AD, H:735
5. Sura Al-Saffaat, Al-Aya: 14.
6. Lisan Al-Arab, Ibn Manzur, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, P: 113-114.
7. Yunzr : Al-Sukhria fi Shir Al-Barduni, Abdul Rahman Muhamad Hussain Al-Jaburi P: 6
8. Al-Sukhria fi Al-Adab Al-Arabi Hatta Nihaya Al-Qarn Al-Raabia Al-Hijri, Dr. Numan Muhammad, , Dar Al-Tawfiqia Li-Tibaa, Cairo, 1978AD P: 13
9. Yunzr : Lisan Al-Arab, P: 113
10. Yunzr: Al-Muajam Al-Mufaharis Li-Alfaz Al-Quran Al-Karim 426-427
11. Yunzr: Al-Sukhria fi Al-Adab Al-Arabi, P: 14.
12. Yunzr: Qira'at fi baad Malamih Al-Sukhria fi Shir Al-Barduni, Hasan Abdul Al-Waris , Majala Al-Thaqafath Al-Yamania, Naqlan an Al-Sukhria fi shier Al-Barduni, P: 10
13. Al-Basair Wa-Dhakhayir, 'Abu Hayaan Al-Tawhidi, Tahqiq Dr. Ibrahim Al-Kilani, Matba'ah Al-Insha, Damascus, 1964AD Vol: 2, P:322

14. Al-Fan Wa-Madhahibuh fi Al-Shir, Shawqi Dhaif, T: 7, Dar Al-Ma'arif, Egypt, 1969AD. P: 151.
15. Shakhsia Basshar, P: 31,
16. Nafsia Basshar Wa-Tasiruha fi Hijaihi, Ilya Al-Hawi, Majala Al-Adib, P: 2.
17. Yunzr: 'usus Al-Siha Al-Nafsia, Dr. Abdul Aziz Al-Qawsi, T:7 Cairo, 1981AD, P:139
18. Yunzr: Al-Shir Wa-Sshuara' fi Al-Asr Al-Abaasi, Mustafa Al-Shaka, P:105
19. Al-Sora fi Shir Basshar, Abdul Fataah, Dar Al-Fikr, Oman, 1983AD,P: 24
20. Al-Aghani Vol: 3, P: 140.
21. Al-'usus Al-Nafsia Li-Asalib Al-Balagha Al-Arabia, Abdul Hamid Naji, P: 17,
22. Yunzr: Al-zarf Wa-Zurafa, Abi Al-Tayib Muhammad bin Ishaq, Alam Al-Kutub, Beirut, 1324H, P: 62
23. Yunzr: Basshar bin Burd, Taha Al-Hajiri, P:26
24. Murajeat fi Al 'Adab Wal- Funun, Abbas Mahmood Al-Aqaad, P:125
25. Ittijahat Al-Ghazal fi Al-Qarn Al-Thaani Al-Hijri, Yousef Husain Bakar, P: 79.
26. Yunzr: Anasir Al-Qissa fi Al-Shir Al-Abaasi, Muntasir Abdul Qadir, P: 14-15
27. Diwan Basshar Vol:1, P:364
28. Al-Ittijah Al-Nafsi fi Naqd Al-Shir Al-Arabi, Abdul Qadir Fayduh, P:303
29. Diwan Basshar Vol:2, P:122
30. Ibid: Vol:2, P:123
31. Ibid,
32. Sura Al-Ankabut, Al-Aya: 41
33. Diwan Basshar, Vol: 2, P: 4
34. Yunzr: Al-Abyaat Al-Talia fi Diwan, Vol:2, P:187-188
35. Diwan Basshar Vol:2, P:189
36. Ibid, Vol:1, P: 187
37. Yunzr: 'Asrar Al-Balagha, P:124-125,
38. Diwan Basshar Vol:1, P: 229
39. Ibid, Vol:1, P: 229
40. Ibid
41. Ibid, Vol:2, P: 155
42. Yunzr: Qadaya Al-Shir Al-Muasir, Nazik Al-Malayikah, P:276
43. Diwan Basshar, Vol:1, P:197-198
44. Diwan Basshar, Vol: 1, P:219